

الشرق والاستشراق والدراسات الشرقية

مائدة مستديرة نظمتها جامعة جنيف
بتاريخ ١٧ شباط ١٩٨٩^(١)

□ تعريبه الدكتور محمد طنجو

كلية الآداب - جامعة حلب

المشاركون :

- سيمون جارغي (الفلسفة والأدب العرياني)
- شارل جنوغا (اللغة والحضارة العريبتان)
- جان فرانسوا ييلز (الأدب وفقه اللغة في الصين)
- روبر هانيمان (اللغة والأدب في اليابان)
- آلان غروريشار (الأدب الفرنسي المعاصر)

تسجيل الحوار : كارل بوسكو

- سيمون جارغي :

لقد أطلقت كلمة شرق على الشرق الكلاسي والذي يمتد من اليونان حتى إيران والهند الإسلامية فقط . وهذا مادفع بالدراسات الاستشراقية ومؤتمر المستشرقين الأول الذي انعقد في عام ١٨٧٣ إلى تركيز الاهتمام على الدراسات العربية والإسلامية .

(١) هذه ترجمة للنص الذي نشرته مجلة دفاتر كلية الآداب ، جامعة جنيف في العدد ١ ، السنة الثانية ، ١٩٨٩ والأراء الواردة فيه لاتعبر عن رأي المترجم .

والمصرية والأشورية والإيرانية إضافة إلى الدراسات الهندية والصينية وكان علينا الانتظار حتى عام ١٩٦٣ لينعقد مؤتمر للمستشرقين في آسيا وفي مدينة نيودلهي . وقد كنت هناك وكان حدثاً عظيماً .

وبعد ذلك تم توسيع مجال الاستشراق وإدخال الدراسات اليابانية وما يتصل بالقارة الآسيوية بمحملها . زد على ذلك أن الاستشراق الذي ظهر في أوروبا ظل لفترة طويلة من اختصاص الغربيين الذين كانوا يهتمون بالشرق ، وهذا يعني انه لم يكن يشمل علماء وكتاب البلاد المعنية . وهنا أيضاً كان علينا انتظار مؤتمر موسكو الذي انعقد عام ١٩٦٠ لنرى حضور العرب والأتراك والإيرانيين - الذين تلقوا تعليمهم في الجامعات الغربية - على ساحة الاستشراق .

وهناك ظاهرة أخرى وهي اختلاف الشرقيين فيما بينهم حول مفهوم الاستشراق القديم والمتعلق بالحقبة الاستعمارية . وقد قرر مؤتمر ١٩٧٣ الذي انعقد في الذكرى المئوية للتخلي نهائياً عن كلمة " استشراق " لصالح " العلوم الإنسانية الآسيوية والأفريقية " التي وجدت لها في غضون ذلك مكاناً في المؤتمر الذي شهد فعلياً بهذه المناسبة موت الاستشراق . ومع ذلك فقد كان هناك إحساس بالحاجة إلى تأسيس جمعيات علمية لكل تخصص : وهكذا أقيمت مؤتمرات الدراسات العربية والإسلامية والإيرانية ، الخ .

- شارل جنوغا :

حتى النصف الأول من القرن الحالي ، كان لمعظم المستشرقين - بالمعنى الضيق للكلمة - صلات أكثر بالعلوم الإنجليزية من جهة ، وبالعصور الإغريقية - اللاتينية من جهة أخرى .

- جان فرانسوا بيلتز :

قد يكون مفهوم الاستشراق خال من المعنى اليوم ، لكن القضايا المشتركة لتخصصاتنا ليست قليلة ويبقى مفهوم الاستشراق حاضرا في الأذهان .

- ميمون جارغي :

إذا كانت الدراسات العربية والإسلامية اتجهت قبل كل شيء البحر الأبيض المتوسط (شرقا وغربا) ، فإن العلاقات التاريخية والثقافية والعلمية مع الصين كانت دائما قائمة ، وقد ورثت الحضارة العربية والإسلامية الشيء الكثير عن الصين والهند عبر إيران ؛ فإن هي نقلت الكثير ، فإنها أيضا أخذت الكثير .

- جان فرانسوا بيلتز :

عندما نقوم بإجراء امتحانات في كلية الآداب فإننا نفعل ذلك لأن الاختراع الصيني للامتحان الكتابي المشفوع بالعلامات نقل إلينا في الواقع بواسطة العرب في العصر الوسيط . وهذا مثال .

" قد يكون مفهوم الاستشراق خال من المعنى اليوم ، لكن القضايا المشتركة لتخصصاتنا ليست قليلة ويبقى مفهوم الاستشراق حاضرا في الأذهان .

- ميمون جارغي :

إن هذه العلاقات في مجالات العلوم والموسيقى وحتى الأدب تم إخفاؤها فيما بعد لأسباب سياسية وعسكرية .

- جان فرانسوا بيلتز :

هل ينبغي القول أنه تم إخفاؤها أم أنه لم يتم تسليط الضوء عليها مطلقا؟ إن جميع المعارف التاريخية التي نهلنا منها تكونت في كنف الأمم

والإمبراطوريات والديانات ولاختص بالتالي سوى جزءاً من الواقع التاريخي . ومن الضروري بذل جهد " غير تخصصي " INTERDISCIPLINAIRE هائل لإدراك تاريخ العالم القديم ككل . وعندها قد تظهر معطيات وعلاقات جديدة لم توضحها التخصصات الحالية . ففي تاريخ العلوم ، لدينا عدداً من المعطيات التي تتعلق بصناعة الورق أو بناء الجسور ؛ فقد أرسل المنغوليون مهندسين صينيين إلى بلاد فارس ، وعلى صعيد التقنيات ، فإن الوقائع سهلة البرهان نسبياً . أما على صعيد الاقتصاد الكلي فإن التوازنات الكبرى التي أثرت في آسيا بأكملها غير معروفة ولا نستطيع سوى التكهن بها .

— ميمون جازغي :

وبالنسبة للعلماء ، ألم ترتبط كلمة الشرق ارتباطاً أكثر دقة بالشرق الأوسط وبشرقي المتوسط ؟

— جان فرانسوا بيلتر :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

متى ظهرت عبارتا " الشرق الاوسط " و " الشرق الأقصى " ؟

— ميمون جازغي :

منذ عهد قريب جداً . ولم تستخدم عبارة " الشرق الاوسط " إلا بعد الحرب العالمية الثانية . وقد قام باشتقاقها " الأنكلوساكسونيون " لضرورات الحرب . وكان الشرق الاوسط MIDDLE EAST يشمل اليونان وقبرص وكل الشرق الأوسط الحالي وإيران والهند . وهذا يعكس مفهوماً سياسياً وعسكرياً . وقد ظل مستخدماً . وظهرت عبارة الشرق الأقصى في تلك الفترة لتمييز ما تبقى من آسيا عن الشرق الأوسط هذا الذي أطلق عليه الفرنسيون اسم " المشرق " LEVANT لحقبة طويلة .

- روبير هاينمان :

ومع ذلك ، ليست عبارة الشرق الأقصى حديثة العهد . وأذكر بوجود إحدى الدول التي كانت تشكل حاجزا في الفترة ١٩٢٠ - ١٩٢٢ بين جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية وقوات الغزو اليابانية : إن ما يسمى بـ " DAL' NEVOSTOCHNAYA RESPUBLIKA " قام اليابانيون بترجمته إلى : " KYOKUTÔ - KYÔWAKOKA " ؛ أي جمهورية الشرق الأقصى حيث أن الكلمة التي تدل على الشرق الأقصى هي الكلمة ذاتها KYOKUTÔ التي مازال اليابانيون يستخدمونها اليوم ، والمقصود بها هنا شرق أقصى مرئي من موسكو .

- جان فرانسوا بيلتز :

إن هذه العبارات تبرز بعدة مفاهيم مكانية . فكلمة " يابان " هي من أصل صيني وتعني حرفياً " أصل الشرق " أي المكان الذي تشرق منه الشمس - (JE - PEN) في اللغة الصينية و NIPPON في اللغة اليابانية - تماماً مثل أحد أسماء كوريا ؛ " ندى الصباح " TCH' AO - SIEN في اللغة الصينية و CHOSON في اللغة الكورية و CHÔSEN في اللغة اليابانية الذي لامتغنى له إلا بالنسبة إلى الصين .

ولمة حقيقة أخرى مهمة : في بعض النصوص الصينية من عهد هان HAN ، في بداية عصرنا أطلق على الإمبراطورية الرومانية اسم TA TS' IN أي " تسين الكبرى " و TS' IN كان اسم المنطقة التي يمر منها طريق الحرير في الصين ؛ أي إقليم " شينزي " SHENSI الحالي . وقد كانت " تسين الكبرى " بالنسبة للصينيين الإمبراطورية الواقعة ما وراء " تسين " . أما في الغرب فإن كلمة TS' IN أعطت كلمة " الصين " ؛ أي أن الجزء أعطى اسمه للكل والمقاطعة التي كان يتم المرور

بها من جهة الغرب لبلوغ الصين أفادت في تسمية الامبراطورية التي كانت تمتد الى أبعد من ذلك.

- ميمون جارغي :

وماذا كان الصينيون يطلقون على البلاد العربية والإسلامية ؟

- جان فرانسوا ييلز :

لاوجود لتسمية صينية خاصة ؛ فالصينيون يستخدمون الأسماء العربية التي يقلدونها تقليداً صوتياً

- ميمون جارغي :

إن العرب أنفسهم بدؤوا بالتحدث عن شرقيين إبان الانتصارات اليابانية على الامبراطورية الروسية لشعورهم بالفخر . فقد كان اليابانيون شرقيين مثلهم ؛ ففي تلك الفترة كانت السياسة حاضرة أيضاً.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- روبر هانيمان :

إن اليابانيين يتجنبون - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - عبارة الشرق الآسيوي TÔ-A التي تذكر كثيراً بالفترة التي كانوا يدعون فيها إقامة " منطقة ازدهار مشترك في شرق آسيا " . وهم يفضلون اليوم التحدث عن الشرق الأقصى أو آسيا الشرقية .

- ميمون جارغي :

إن أحد الأسباب التي جعلت العرب يتجهون نحو الغرب والمتوسط هو أن علاقاتهم الروحية مع اليهود والمسيحيين كانت أكثر من علاقاتهم مع الصين التي تعتبر وثنية .

- جان فوانسوا بيلتز :

لقد لعب المسلمون في الصين دوراً أكثر أهمية من الدور الذي يقر به التاريخ الرسمي وخاصة إبان حكم أسرة " مينغ " LES MING (١٣٦٨ - ١٦٤٤) حيث أصبح بعض أفرادها كبار موظفي الدولة .

- آلان غروريشار :

إلى أي عصر تعود عبارة " امبراطورية الوسط " ؟

- جان فوانسوا بيلتز :

إنها تعود إلى الممالك المحاربة بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد . إنها لاتعني إمبراطورية الوسط وإنما ممالك المركز ؛ أي الممالك التقليدية التي كانت تشكل مركز العالم الصيني ، تميزاً عن الدول الكبيرة المحيطة التي كانت تشكل قوى جديدة ، وبعد ذلك أطلقت الصين على نفسها وبصورة عامة خلال ألفي عام إسم الأسرة المالكة . وهكذا أعطت أسرة هان HAN - وهو إسم العائلة الامبراطورية الأولى التي حكمت من - ٢٠٦ حتى + ٢٢٠ - إسمها للعرق الصيني. وقد تشكلت القرى الصينية ماوراء البحار إبان حكم أسرة تانغ T' ANG (من ٦١٨ حتى ٩٠٧) . وكان يطلق على القرويين الصينيين آنذاك " رجال أسرة تانغ " وفي أيامنا أيضاً يطلق على الأحياء الصينية في المدن الأوروبية الكبرى وفي الولايات المتحدة " شوارع رجال أسرة تانغ " . وهذا الخطأ التاريخي ذو دلالة . وقد اضطر الصينيون في العصر الحديث إلى اعتبار الصين أمة وإيجاد إسم لها وإلى إعادة اعتبار كلمة TCHOUNG - KOUO التي كانت تشكل جزءاً من تراثهم وتقيدهم من جديد .



"لم تستخدم عبارة الشرق الأوسط إلا بعد عام ١٩٤٥"

وقد اشتقت لضرورات الحرب "

- روبرت هاينمان :

في اليابان ، وحتى أيامنا هذه ، يطلق على الدراسات الصينية "دراسات أسرة (أو عن أسرة) هان : KANGAKU" ولكن ماذا عن الاسم الذي يشير الى المسلمين في اللغة الصينية HOUET ؟

- جان فرانسوا بيلز :

توجد في الصين أقلية قومية مهمة وهم مسلمون لكنهم لم يعودوا يتمتعون بانتماء عرقي أو انثروبولوجي خاص . وانتمائهم هو انتماء ديني ومعترف به سياسيا ولهم في عدة مناطق مقاطعات مستقلة وإقليم مستقل وهو إقليم NINGSIA في الشمال الغربي . لكن كلمة HOUET لا تنطبق اليوم الا على مسلمي الصين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ميمون جازغي :

وهي كلمة يمكن تقريبها من الجذر العربي " أخ " " أخوة " . وتعتبر الأخوة ضرورة أساسية في الإسلام وبخاصة في الجماعات الصغيرة.

- جان فرانسوا بيلز :

لنتذكر سريعاً الطاقة التي يستغل بها المسلمون الصينيون الإمكانيات التي توفرها الإصلاحات الاقتصادية الجارية . إذ إن أغنى متاجر بكين يديرها غالباً مسلمون .



- جان فرانسوا ييلز :

إن النصوص التي يُفضل دراسة اللغة الصينية من خلالها تعود للقرون الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد ، وأقدم لغة صينية - إن جاز القول - هي حوارات منسيوش MENCIOUS (حوالي ٣٢٧ - ٢٨٩) الفلسفية التي تعادل حوارات أفلاطون . ومنسيوش هذا هو أول مؤلف نعرف عنه بشكل مؤكد أنه هو الذي كتب مؤلفه .

- ميمون جارجي :

أما الادب العربي فقد بدأ قبل الإسلام ، وكان شفاهياً ، وقد ظهرت الكتابة فيما بعد . ولم يدون الأدب كتابياً إلا بدءاً من القرن الثامن الميلادي .

- روبر هانيمان :

فالأوضاع مشابهة إذن في اليابان : لقد حل الأدب المكتوب محل الأدب الشفاهي بعد ظهور الكتابة ؛ أي الكتابة الصينية . وفي اليابان أيضاً ، يمكن التحدث عن أدب حقيقي بدءاً من القرن الثامن الميلادي .

- جان فرانسوا ييلز :

في الصين ، هناك الكتابة أولاً : وقد لعبت الكتابة في البداية دوراً دينياً جوهرياً ؛ إذ إنها أفادت العرافين في العصر القديم حوالي (١٤٥٠ حتى ١٠٥٠) في تدوين الاجابات التي تقدمها الآلهة رداً على أسئلتهم . وقد استخدم نظام الإشارات فيما بعد لتدوين الكلام الانساني ، ولكننا لانعلم الكثير عن كيفية حدوث الانتقال ؛ فهناك لغز لم يفسر بعد . ومن المؤكد أن العلاقة بين الكتابة والكلام في الأصل وفيما بعد في الصين تختلف كل الاختلاف عن العلاقة ذاتها عندنا .

- سيمون جارغي :

حول هذه النقطة ، يلاحظ وجود اختلاف جوهري عن الحضارات السامية . فالآلهة تتكلم ولا تنتمتع الكتابة إلا بأهمية ثانوية وهي أداة استذكار ، والأولوية للشفاهية أي للكلمة والمقنن هو الكلام وليست الكتابة .

* * *

- كارل بوكو :

ألم تظهر إشكالية الشرق والاستشراق مع انتشار الإسلام منذ القرن السابع الميلادي ؟ في السابق كانت هناك الفسحة الهندية الأوربية التي تمتد - بشكل مبسط - من ايسلندا الى مصب نهر الغانج : الإغريق والفرس في خصام ولكنهم مع ذلك أبناء عم . وقد أثرت حكمة المجوس في الإغريق الذين عمل بعضهم في خدمة الفرس . وقد دعم الإسكندر هذه الصلة . أليس الفتح العربي هو الذي سبب القطيعة التي نتحدث عنها ؟

- سيمون جارغي :

بلاريب .. وما يقال عن الشرق ، يقال أيضاً عن الاستشراق الذي يقوم على معطيات لاهوتية وإنجيلية .

- آلان غروريشار :

إن المواجهة بين الغرب والشرق بدأت مع ذلك مع الإغريق الذين اعتبروا أنفسهم أهل المنطق خلافاً للآخرين الممججين ، لاسيما الآسيويين منهم ؛ أي الفرس . وبالنسبة لأرسطو - وهذا مثال حي على ذلك لأنه أدرج فيما بعد في خطاب الكنيسة - كل ما ليس اغريقياً يعد همجياً - وعلى هذا فإن كل همجي هو عبد بطبيعته ،

والعبد بحاجة الى سيد ومن المنطقي أن يكون سيده حكيماً وإغريقيا .
وهذا مايفسر تفسيراً جزئياً مشروع الإسكندر . إن في ذلك بنية فكرية
وجد فيها الغرب نفسه وبخاصة الكنيسة .

"إن مايعرف الغرب ، إضافة إلى قوضعه في أوروبا ، هو غط من
الخطاب الذي ينطق به أفرادهم أنفسهم متموضعون ، يؤكدون تمثيلهم
للإنسانية جمعاء وقول الحقيقة عن الآخرين .

ميمون جارجي :

من المؤكد أن الإغريق اعتبروا الشعوب الأجنبية همجية . ولكن
مع انتشار الهلينية التي تأصلت في الشرق الأوسط بأكمله ، تم دمج هذا
الشرق مع العالم الهليني حتى ظهور الاسلام . وحتى عندما حافظت
عامة الناس على لغاتها - كالأرامية مثلاً - فإن الطبقات الحاكمة
والمثقفة كانت هلينية . وقد حطم الإسكندر في الواقع الحاجز بين
الإغريق والهمج وحاول خلق وحدة ثقافية تمتد حتى إيران . وعندما
استوعب الإسلام الهلينية فإنه دفع بهذا الحاجز حتى الهند والصين .

- روبر هاينمان :

يمكنني أن أضيف أن الغربيين ، لاسيما البرتغاليين والإسبانيين
والإيطاليين - عُرفوا - خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر
بمتخلفي الجنوب . وهي عبارة أخذت عن الصينيين الذين أطلقوها على
الأعراق الجنوبية التي ليست صينية .

- جان فرانسوا بيلز :

إن المفهوم الإغريقي القائل بوجود مدينتين يدو لي هاماً ، وهو
يلعب دور الأسطورة المؤسسة التي نرى أثرها في كليتنا . لماذا يختار
بعض الطلاب دراسة لغة وحضارة الصين ؟ لقد أخبرني أحدهم بأنه "
يريد رؤية الوجه الآخر للعالم " . وأنا أشاركه وجهة نظره وأتساءل في

الوقت ذاته عن شرعيتها . لقد اعتبرت الصين لفترة طويلة كعالم آخر وقد غيرت الماوية MAOISME هذه النظرة . واليوم نجد أن أزمة النظام والفساد والتضخم والتلوث تدمج الصين مع بقية العالم . وهذا جد صحيح بحيث أن الطلاب الذين يشعرون هنا بالراحة أكثر من غيرهم هم مكسيكيون يواجهون المشاكل ذاتها في بلادهم ، في حين أن الطلاب السويسريين يشعرون بأنهم حائرين في البداية . وبالنسبة لمن يرى الأشياء بعمق أكبر ، فإن الصين تبقى عالماً مختلفاً جداً . وقد عدت إلى هناك في الصيف الماضي . وبعد اجازة قصيرة في اليابان ، سنحت لي فرصة قضاء ثلاثة أيام في بومباي .. وهي زيارتي الأولى للهند . وكانت مكثفة جداً سيطر عليّ خلالها شعور بأنني أعود إلى وطني في المنطقة الهندية - الاوربية . وهذا يعود إلى الكتابات الصوتية وإلى التعددية العرقية والدينية وإلى بعض الملامح الجسدية ؛ أي إلى أهمية التقوس الحاجبي في الوجه مثلاً وأيضاً إلى بعض الأزياء وإلى ارتداء الساري SARI ^(١) الذي يذكر بارتداء التوجة TOGE القديمة ^(٢) فأنا الذي كنت أقول بنسبية الاختلاف بين جزئي العالم وأشعر به اليوم من جديد بشكل أكثر وضوحاً .

- روبر هانيمان :

سأميز بعض الشيء .. من المؤكد أن الهنود هم مثلاً أقرب إلينا من اليابانيين . ولكن عندما نذهب إلى اليابان فإننا نجد أنفسنا في أوروبا . وقد أصبح وجه الأشياء غريباً ، وهذا مالا نجده في الهند إلا ضيق . فالطالب الذي يذهب إلى اليابان لا يجد المجلوبة EXOTISME الكافية ؛ لأن الاستشراق هو المجلوبة أولاً . ومع ذلك تبقى اليابان في الأعماق مغلصة لذاتها .

(١) الساري هو الثوب الذي ترتديه الهنديات .

(٢) التوجة هو ثوب القضاة أو المحامين

- شارل جنوغا :

إذا كانت الصين واليابان تعطيان انطباعاً بالاقتراب من أوروبا ، فإن العالم الإسلامي يبدو ، على عكس ذلك ، يتعد عنها .

- ميمون جارجي :

ومع ذلك فإن الشعب الهندي الذي أعرفه جيداً هو أكثر تمسكاً بتقاليده - ولاسيما في المجال الموسيقي - من الشعوب العربية . أما على الصعيد الديني فإننا نجد التسامح ذاته والتعددية ذاتها التي تمارس في الغرب منذ أمد قريب في الواقع ، في حين يستمر العرب المسلمون في رفضهم لذلك . وفيما يختص بطلابنا الذين يذهبون إلى بلاد عربية ، فإنهم يجدون هناك طبيعة عمرانية تشبه التي عندنا - مبان ومحلات وسيارات ، الخ - لكنهم يضطربون بسبب استمرار عادات وعقليات وأخلاق تبعدهم عن وسطهم الأصلي وتجعل اتصالهم هناك صعبة .

- جان فرانسوا ييلو : <http://Archivebeta.Salt>

قد تبعث تجربة الصين على النشوة ولكنها تجربة قاسية أيضاً . وقد يشعر الطلاب الذين يذهبون إلى هناك لمتابعة دراساتهم بأنهم هامشيون مرتين : في الصين أولاً لأنهم أوروبيون وهنا ثانياً لأنهم لايتوصلون إلى إشراك الآخرين في تجربتهم التي مروا بها هناك . وقد تصبح هذه العداوة المضاعفة المحرك لمشروع فكري ولبحث تركيبي يجعل التواصل ممكناً . وهكذا تحل حوافز جديدة محل الحوافز الأولية .

- آلان غروريشار :

لنعد إلى مسألة الشرق بالمعنى الضيق حيث يتم تمييزه تمييزاً موجزاً عن الغرب . إن الغرب يتصف جوهرياً في العصر الكلاسيكي بأنه

ملفوظية خطاب يهدف إلى الشمولية . وهو المكان الذي يدعي فيه عدد من الأفراد والفلاسفة قول الحقيقة حول كل شيء . كل شيء عن الطبيعة وعن الشعوب الأخرى بواسطة الوسائل العقلية التي اكتسبوها . إنه زمن العلم الحديث الذي يقدم أنماطاً للشمولية ، حيث تتناقض فكرة الحقيقة المنزلة مع الحقيقة القائمة على التجربة ؛ أي مع الحقيقة الموضوعية التي تستخدم المنطق الرياضي والشمولي . وانطلاقاً من هذا العلم ومن قوانينه ، بدأ ينمو خطاب أنثروبولوجي في القرن الثامن عشر كما هي الحال عند بوفون* BUFFON مثلاً .

إن ما يعرف الغرب ، إضافة إلى تموضعه في أوروبا ، هو إذن نمط من الخطاب الذي ينطق به أفرادهم أنفسهم متموضعون ويؤكدون تمثيلهم للإنسانية جمعاء وقول الحقيقة عن الآخرين . وهذا ما يبرر جزئياً المحاولات الاستعمارية التي تهدف إلى تنوير الشعوب التي تغوص في الظلمات ومساعدتها في إدراك الفكر الشمولي . فهل يتحدثون موقفاً مشابهاً في التخصصات التي تعلمونها عند الشعوب التي تقومون بدراساتها ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- روبر هانيمان :

إننا نجد في الشرق الأقصى أنظمة تدعي الشمولية وإنما على صعيد آخر . ولنبداً بالبودية . إن التغير حقيقة كونية . والبودية هي إحدى الديانات الكونية الثلاثة الكبرى . أما فلسفة كورنفيوشوس التي جاءت في الصين ، فإن اليابانيين يعتبرونها مذهباً عالمياً مقبولاً .

- جان فرانسوا ييلز :

الموضوع حساس : كل الحضارات الكبرى تصورت نفسها كونية بطريقة أو بأخرى . ويبدو لي أن القطيعة التي حدثت في أوروبا ترتبط بظهور الإنسان المفكر الذي يُعرف نفسه على أنه الفاعل

للمقترحات التي يقدمها - وهو لا يدعي امتلاك الحقيقة من منطلق أنه مسيحي أو فرنسي مثلاً وإنما من منطلق أنه يفكر ويدعو الآخرين للتفكير بهدف الوصول إلى الحقيقة .

- آلان غروريشار :

إن الموضوع ليس " إنك تقول ذلك لأنك لست صينياً " وإنما " إنك تقول ذلك لأنك تحظىء ولأنك لاتفكر جيداً " .

- ميمون جارغي :

أليس الادعاء بالشمولية الذي يعود للعصر الحديث نقلاً للادعاء القديم بالشمولية والخاص بالكاثوليكية الرومانية ؟

آلان غروريشار :

بالأكيد . ومن هنا كان رد فعل الكنيسة على غالينوس مثلاً . وفيما يختص بالاستشراق ، إذا أصبح كل شيء موضوعاً للعلم بدءاً من القرن الخامس عشر - ويدخل في إطار ذلك الكتابة - فإن الشرق أصبح كذلك . إنه جهد يهدف للسيطرة على الآخر بالمعرفة التي ترافقها سيطرة اقتصادية وسياسية .

- ميمون جارغي :

ومن هذا المنطق نذكر بأن أرنست رنان RENAN هو أحد مؤسسي الاستشراق .

" إن زمن الاستشراق هو الزمن الذي وجد فيه أناس اهتموا بالشرق لسبب أو لآخر وكرستهم السلطة السياسية . إنه أيضاً زمن الدراسات الشرقية التي انفصلت عن الدراسات الإنجيلية بهدف الاعتماد على فقه اللغة والتاريخ "

- آلاف غروريشار :

يمكن العودة إلى ما قبل ذلك ؛ أي إلى تأسيس مدرسة اللغات الشرقية في عام ١٧٩٥ وحتى إلى نهاية القرن السابع عشر وإلى أنطوان غالان GALLAND مترجم ألف ليلة وليلة الذي كان أحد أعضاء فريق شكله لويس الرابع عشر لدراسة الشرق . إن زمن الاستشراق هو الزمن الذي وجد فيه أناس اهتموا بالشرق لسبب أو لآخر وكرستهم السلطة السياسية .

- سيمون جارجي :

لكن الاستشراق بالمعنى المعاصر للكلمة ، ظهر في الوقت الذي انفصلت فيه الدراسات الشرقية عن الدراسات الإنجليزية بهدف الاعتماد على فقه اللغة والتاريخ .

- جان فرانسوا بيلز :

لقد مر الاستشراق بعدة مراحل متناقضة جداً . وكما يذكر بذلك روجيه بول دروا R- P. DROIT^(١) في كتاب صدر مؤخراً ، فإن الإغراء الذي مارسه الهند على الاستشراق الألماني هو مرحلة هامة من هذا التاريخ .

- شارل جونوغا :

فيما يختص بالإسلام وادعائه بالشمولية ، أذكر بأنه يعتبر ذاته ، خلافاً لكل حقيقة تاريخية ، الدين الأول ؛ دين إبراهيم الذي حرفة اليهود والمسيحيون وأسسهم محمد (ص) . ويؤكد أحد الأحاديث

(١) روجيه بول دروا: نسيان الهند . فجوة فلسفية . المطابع الجامعية الفرنسية . باريس ١٩٨٩ .

(النوبة) بأن الطفل سيكون مسلماً إذا ترك ليكون نفسه بنفسه -
والطفل يولد مسلماً ، والإسلام هو دينه الأول - الإسلام بمعنى
الرحمانية الخالصة .

- روبر هانيمان :

يمكن القول بأن الياباني الصغير يولد شنتوياً (نسبة إلى ديانة
اليابان الاهلية) . والملاحظة أنه يبقى شنتوياً حتى لو أصبح بوذياً .

- جان فرانسوا بيلز :

لنعد إلى ما كان يقوله آلان غروريشار منذ برهة : علينا التنويه إلى
الاختلاف الدائم في وجهات النظر ، لابل إلى تعارضها . إن الطالب
الذي يذهب إلى الصين يكشف شيئاً فشيئاً بأنه ليس فقط سويسرياً
ولمّا أيضاً غريباً وورثاً لتقليد فكري تحدّثنا عنه للتو . وقد بحث أن
يناقش في كلمات اعتاد على اعتبارها عقلية وشمولية وأن محدثه الصيني
يرفض على العكس منطقة على أنه أوربي . وإذا فكر بذلك ، فإن هذا
الفشل يمكن أن يوضح له بأن هذا الاشراق الثقافي وهذا المفهوم المجرد
لل فرد الذين تحدّثتم عنهما قبل قليل يشكلان جزءاً من التعريف الذي
يمتلكه عن نفسه ويساعده على الشعور بأنه ورث تاريخ طويل هو
تاريخ الفردانية المعاصرة . وأضيف إلى ذلك أن موقعي كان نسبياً لفترة
طويلة ؛ إذ كنت أقر بوجود عدة عوالم ثقافية وأن العالم الأوربي هو
جزء منها وأن العالم الصيني هو عالم آخر وأن لكل منهما قيمه وعقليته
الخاصة . وكانت هذه العوالم تبدو لي في عداوة لدودة ومهمتي هي
توضيح الانتقال من أحدها للآخر والوصل بينهما . ولكن أمام الأزمة
التي تمر بها الصين ، تبينت موقفاً مغايراً وأصبحت لدي قناعة بأن على
الصين أن تتبنى مفهومنا عن العقلانية وعن الفرد . وإلا فلن تخرج من

هذه الازمة . وأعتقد بأن العملية سوف تكون طويلة وصعبة ولكنها ضرورية . وعوضاً عن تجاور عالمين ، فإنني أرى من الآن فصاعداً الأسبقية التاريخية لعالمنا وضرورة أن يسير الصينيون على طريقتهم ، في طريق بدأنا باكتشافها قبلهم . وبالطبع هذه الإشكالية معقدة ولايسعني إلا أن ألمح إليها . والرأي الذي أتبناه له نتائج على تفسير تاريخ وفكر الصين القديمين .

- ميمون جارغي :

إن أوروبا بالنسبة للعالم الإسلامي هي مرادف للمسيحية . وقد طلبت إحدى طالباتنا مؤخراً تأشيرة دخول إلى بلد عربي . وقد طلب إليها تحديد دينها . وقد أجابت بأنه " ليس لها دين " . وأجابوها : مستحيل " و " مستحيل أيضاً منحك التأشيرة " . فمن وجهة نظر عربية وإسلامية لا وجود للإلحاد والالحاد ليس وضعاً . ومبدئياً ، إذا كنت قادماً من أوروبا فأنت مسيحي أو يهودي . وإذا قلت بأنك بوذي ، يصعب تصديق ذلك - كيف يمكن لبوذي أن يكون أوروبياً ؟ وعلى العكس ؟ اعترف طالبان من طلابي أقاما في بلاد عربية ، بأنهما توصلا للشعور بأنهما مسيحيان طالما أنهما كانا مضطرين لتقديم نفسيهما على أنهما كذلك .

- كارل بوسكو :

ألا نواجه المشكلة ذاتها في أوروبا ؟ أليس العربي بالنسبة لنا مسلماً بالضرورة ؟ انظروا مثلاً إلى الصعوبة التي نواجهها في تحديد موقفنا بالنسبة لمسيحي لبنان

- روبر هانمان :

كل المشكلة هنا . كيف ينظر الشرق إلينا وكيف يُعرفنا ؟ في اليابان ، أنا غربي لأنني مسيحي وعقلاني وأحدث الانكليزية ، فادعاء الشمولية هو أيضاً ادعاء الثبات .

- آلان غروريشار :

وهو ثبات يسمح مع ذلك بالتفكير في التغير وفي التاريخ .

- شارل جنوفا:

إن المسلمين ينكرون على الغربيين كل كفاءة للتحدث عن ثقافتهم . إن الغربيين لا يستطيعون التحدث عن الإسلام لأنهم مسيحيون ولا يتحدثون العربية وليست لديهم المعرفة الراسخة...أضف على ذلك أن اللغة العربية هي لغة الوحي القرآني وهي لغة شبه إلهية . إن ارادة المسلمين بالحفاظ على دينهم وثقافتهم المرتبطتين ببعضهما من بعض الدنس يعود أصلها بالنسبة للكثيرين إلى عداوة نسبية إزاء المستشرقين وهي عداوة ربما سعى ادوار سعيد إلى عقلنتها كثيرا وعلى العكس عندما ينكب العرب او الايرانيون على دراسة ثقافتهم الخاصة ، فانهم يكتبون مؤلفات دفاعية أو معرفية بحتة - كتبت بعناية فائقة مع ذلك - ولا يتمتعون في الغالب عن تقليد الكتاب الغربيين .

إننا بحاجة إلى جهد عبر تخصصي ضخم لفهم التاريخ القديم في شموليته وجنيتها قد تظهر معطيات وعلاقات جديدة لم توضحها التخصصات الحالية".

- روبر هانيمان:

إن الدراسات اليابانية تهدف اليوم الى إقامة متحف حي للثقافة اليابانية . فكل ما وجد في الماضي يستمر في الوجود وبطريقة حية جدا مثل مسرح القرنين الرابع عشر والخامس عشر LE NO ومسرح القرنين السابع عشر والثامن عشر LE KABUKI والأجناس الموسيقية القديمة التي مازالت تمارس كموسيقى البلاط . والشيء نفسه في المجال الأدبي . كل شيء يبقى حيا ، فلا يلغى شيء ولا يهمل شيء ولا يحل شيء محل شيء آخر وإنما يضاف اليه .

- جان فرانسوا ييلز:

إنها طريقة في تقديس الأجداد ..

- روبر هانيمان:

إن الأصل القديم هو الفرضية . أما نقيضها فهو الاقتباس والتقليد وهذا ما يتقنه اليابانيون على الوجه الأكمل . ومن ثم هناك التركيب . وبذلك يكون لدينا ثلاثة تقاليد تستمر جميعها وتبقى حية . وفيما

يختص بالموقف الأكاديمي فإن اليابانيين حريصون جداً على معرفة رأي الآخرين بهم وكيف ننظر إليهم . كما أن العلماء الغربيين والمختصين بالدراسات اليابانية مثل شاميرلان CHAMBERLAIN معروفون ومحترومون في اليابان . -جان فرانسوا بيلتر :

وفي الصين علينا أن نميز بين إرتكاسات رجل الشارع وإرتكاسات المفكرين . إن رجل الشارع الذي لم تتح له فرصة الإختلاط بالأجانب ويتصرف بطريقة ساذجة يعتبرني كائناً لا يصنف لأنني أبدو أجنبياً ولكنني أتحدث إليه بلغته .. وعندما يعلم أن زوجتي صينية فإنه سيظلمني ويقول : " إنك صهر الصينيين " . وما انه صنفني ضمن زمرة عائلية فإنه سوف يقبلني بدون تحفظ . أما إرتكاسات المفكرين فهي من طبيعة مختلفة . وهي ترتبط بوعيهم لوضع بلدهم وتحدد جزئياً بالأوضاع السياسية ... ففي الحقبة الماروية لم يكن بالإمكان الاعتراف بأية أهمية لأعمال صينوي غربي ؛ أما اليوم فالصينيون يترجمون عدة أعمال **صينية أجنبية** . وقد أقرروا بأننا كنا نملك مناهج مهمة وأن وجهة نظرنا الخارجية كانت تسمح أحياناً باكتشاف المعالم التي لم تكن مرئية بالنسبة إليهم . وتبقى العلاقات بين الصين والعالم الخارجي إشكالية في مجملها . وأعتقد بأن ذلك يعود للمفهوم التقليدي للعلاقات الاجتماعية الذي مازال قوياً حتى اليوم . وقد كانت هذه العلاقات في الماضي تسلسلية في جوهرها : ينبغي أن تأخذ كل علاقة شكلاً وهذا الشكل لابد أن يكون تسلسلياً . ومن هذا المنطلق لم تكن المساواة معروفة لأنه ليس لها شكل . وكانت تبدو كفوضى لا يمكن أن يقوم عليها أي شيء . وقد قامت حركات تنادي بالمساواة في الصين ، لكنها لم تتوصل إلى التغلب على هذا الموقف الصلب .

ورغم التطور الفكري السريع ، تبقى هذه التصورات حاضرة اليوم بحيث يحتل الأجنبي المكانة الأعلى أو الأدنى بشكل عفوي وناذراً ما يقبل على أساس من المساواة. وهذا ينطبق على الأجنبي كدولة وكفرد.

ما تكون تعليمية ، تربط الطفل بالحياة ، إلى جانب إيصال الجمال من خلال الصورة الشعرية المرسومة وجوانية الجملة الشعرية المكتوبة .

وهنا يأتي تقديم الأحلام والأمنيات بطريقة خيالية بوصفه من أهم وظائف وسمات أدب الأطفال ، إذ يساهم هذا في خلق خصوصية التفكير عند الطفل وإعطائه إمكانية المقارنة مع الواقع لاكتشاف ذاته الممكنة . ولا تخلو القصائد التي تكتب للأطفال في ألمانيا من هذا الخيال ، رغم أن الأغاني المقدمة هنا تبدو أكثر قرباً من هموم الطفل اليومية وعلاقاته ضمن محيطه وحبه للمعرفة والاكتشاف .

إن عقلانية القصائد وربطها بالواقع كما هي ، تضعنا كما أسلفنا وجهاً لوجه أمام حياة الفرد الألماني الواعية والمنظمة لدرجة الهروب أحياناً .

ولا بد من التنويه هنا إلى أن الشاعر الذي كتب هذه الأغنيات غير معروف فهي تردد وكأنها شعر شعبي موروث كان وما زال !

كما يوحى بعضها وكأنه مأخوذ من آداب شعوب مجاورة كالروسية بوجود شخصية (ماتروشكا) . لقد تمت ترجمة الأغاني بتصرف بسيط أوحى به المعنى ، كي تقدم بالصورة التي تجعلها قريبة إلى شاعريتها بعد الترجمة . وإذا كان غياب موسيقاها الجميلة كما هي في أصلها قد جعل نشرها في مجلة مخصصة للأطفال - كمجلة أسامة مثلاً - أمراً غير مرغوب فيه - فالطفل في بلادنا يجب أن يتعلم إيقاعات شعرنا أولاً - فإنني أجد نشرها في مجلة تهتم بالآداب الأجنبية أمراً معقولاً وربما هاماً . إذ أن أدب الأطفال كتب دوماً بأيدي مبدعين كبار وبقي يعتبر جزءاً من التراث الغني لكل أمة مثله في ذلك مثل الأعمال الكلاسيكية الكبرى .

(١) أغنية النوم :

نم أيها الطفلُ ، نم
أبوك هناك
يرعى الغنماتِ المليئاتِ بالحليب
وأملك هنا
تهزُّ شجرةَ الدارِ الصغيرة
لتسقطَ الأحلامُ بوقعها الأسرُ
نم أيها الصغير ، نم ...

(٢) الكرنفال :

إنه لأنفٌ ضخمةٌ وطويلٌ
أففٌ من الورق
أما تلكَ اللحية الطويلة من القطن
فكم تمنيتُ لو أملكُ مثلها
وها هي نظارةٌ جدي السمكة
سأحتاجُها بالتأكيد
عندما تأخذني أختي اليومَ معها
إلى الكرنفالِ
هناك حيثُ يتنكرُ الناسُ
ولا يعرفُ أحدٌ أحداً
هناك حيثُ يتحولُ الناسُ كلُّهم إلى أطفالٍ
مثلي ...

(٣) هاينر الصغير :

عندما كان هاينر صغيراً
لم يستطع ولا مرة واحدة أن يربط حذاءه
أصابعه الطفولية السميكة الغضة
لم تُرد أن تستوعب ذلك حقاً
مئات المرات حاول أن يعقده
غير أنه ما استطاع مرة واحدة ،
ولا مرة أن يملك الهدوء اللازم
دموع الغضب سقطت ساخنة ساخنة
على ذلك الحذاء اللعين
وفجأة ودون أن يدري
أتت تلك اللحظة

حيث لا يستطيع أحد أن يسخر من هاينر
بعدها

الآن يربط هاينر حذاءه وحده
كما لا يربطه أحد
إنه يستطيع أن يعقده بشكل نجمة
إنه الآن صديقنا الكبير
هاينر ...

هاينر الصغير ... !

(٤) المطر :

حين تَمَطَرُ السماء
نبقى جالسين في البيت
هكذا ... على النافذة
نتفرجُ بفرحٍ على " الخارج "
السماءُ مظلمةٌ
والأرضُ مبلّلةٌ رطبةٌ
نحنُ الصغار
نجلسُ على النافذةِ
وننظرُ بفرحٍ شديدٍ إلى الخارج ... 1

(٥) أغنية الشتاء :

هناك في الخارج ، في الغابة الشتائية
تقف شجرةُ السرو الطويلة
مغطاةٌ بطبقةٍ سميكةٍ من الثلج
بالكاد يرى المرءُ أوراقها الإبرية
هناك
حيثُ حارس الغابة يمشي متناقلًا
في الثلج والجليد
هناك ، هناك في العمق
يقصّ بمنشاره شجرة السرو تلك
حيثُ يسافر بها إلى المدينة

أبي سيذهب غداً إلى سوق عيد الميلاد
باحثاً عن تلك الشجرة
لأنها وبجمال أخذت وترعرعت
سيشتريها ويحملها عائداً إلى البيت
في البيت
تملؤها أُمي بزيينة عيد الميلاد
التفاح الأحمر هنا
وعلى كل غصن تعلق ضوءاً يتلألأ
وعندما يأتي اليوم المقدس
يسمح لنا نحن الأطفال بالقدوم إلى الشجرة
حيث نراها مختصرة
في بهجة ضوء الشموع الساطعة

(٦) أغنية ماتروشكا (١) :

- كما الخبز سميك ومدور
كما الورد ملونة بفرح
أظهر أنا ، كما لو أنّ الجميع يعرف
أنّي أسمى ماتروشكا
الكثير من أخواتي الصغيرات في داخلي
واحدة منهن ترقص دائماً معي وتغني
واحد ، اثنان ، ثلاثة
تعال معي يا صديقي

ودائماً بخطوة ماتروشكا^(٢)
 - كما سفينة الفضاء تضمّ العالمَ بجناحيها
 أحبكُم يا أطفال العالم ...
 الكثير من أخواتي الصغيرات في داخلي
 واحدة منهن ترقص معي وتغني
 واحد ، اثنان ، ثلاثة
 تعال معي يا صديقي
 ودائماً بخطوة ماتروشكا
 - أصدقائي في كلِّ مكان
 يعيشون تحت النخيل
 وفي بلاد البرد والثلج
 الكثير من أخواتي في داخلي
 واحدة ترقص معي وتغني
 واحد ، اثنان ، ثلاثة
 تعال معي يا صديقي
 ودائماً بخطوة ماتروشكا ...

(١) فلاحه رومسية مبنية على شكل دمية مصنوعة من الخشب بداخلها أربعة دمي صغيرة .

(٢) خطوة بطيئة راقصة .

(٧) على غدير الماء حيث تقف قطط الحقل :

لقد رأيته

إنه أرنب عيد الفصح

ركضَ هارباً ، وكأنه دُعرَ إذ رأيته

فجأةً أكتشفُ شيئاً ما

ماذا نجباً الأرنبُ خلفَ الحقل هناك ؟

إنها سلّة مليئة بالبيض الملّون الجميل

إنها يجب أن تكون لنا : نحن الأطفال

وأنت يا أرنب عيد الفصح

في مرجلك الأخضر

شكراً لك على كل هذا المرح والمرج

على هذا المرح والفرح

في عيد الفصح الجميل .

